

تطور الصوت اللغوي عند الطفل قال أحد الفلاسفة « لم يقم المرء في كل سنى حياته الطويلة بشيء يثير الدهشة ويدعو إلى العجب أكثر مما قام به حين تعلم النطق . فقد بدأ الطفل مراحل نطقه بالصراخ ، الذي لم يرد منه في أول الأمر التعبير عما يشعر به . ولكننا نسارع عادة إلى الطفل حين يصرخ رغبة منا في عونه ومساعدته . فلا يلبث الطفل أن يربط عملية الصراخ بما يقدم إليه أهله من وسائل الترفيه عنه ، ويتخذ هذا الصراخ سلاحاً يسله كلما شاء إحدى تلك الوسائل . فالصراخ الذي لم يكن في أول الأمر إلا نشاط عضلياً ، قد يصبح بعد قليل من الزمن عملاً إرادياً عند الأطفال ، يستغله الطفل دون رحمة لمن يقضون الليل ، وهو فوق أذرعهم يغنون له الأغاني أو يؤرجحونه فوق الأيدي ، مفضلاً كل هذا على النوم في سريه هادئاً مطمئناً . وخير وسيلة هي أن يترك الطفل يبكي متى تأكد الأبوان أنه قد نال قسطه من الغذاء والنظافة . ففي بكاء الطفل تمرين لعضلات صوته . ثم على هذه المرحلة مرحلة المناغاة ، فينطق بصوت لين يسبق عادة بأحد الأصوات الساكنة التي تشبه أصوات اللين ، مثل « لا » « نا » . لأن اتساع فم الطفل في هذه المرحلة لا يزال بحاجة إلى بعض النمو ليستطيع النطق بصوت ، لا ، كما ينطق بها الكبار . فطول الشدق حين يولد الطفل يتراوح بين ٤٥ ملمتراً ، وإلى ٧٥ ملمتراً في آخر . العام الأول . ثم ينمو بعد ذلك طول الشدق نمواً بطيئاً جداً ، لأن طول الشدق عند طفل في سن الخامسة هو نفس الطول عند الكبار ، لأنه في الرجال حوالي ٩٩ ملمتراً وفي النساء حوالي ٩٣ ملمتراً . لهذا اختلفت أصوات أطفالنا عن أصواتنا بعض الاختلاف في السنين الأولى من حياتهم . بل حتى حين ينطقون ببعض أصوات تشبه أصواتنا ، نلاحظ اختلافهم عنها في عملية النطق ، من حيث وضع اللسان من الفم . ويبدأ الطفل عادة في نهاية العام الأول بتقليد أصوات الكبار حوله تقليداً ناقصاً بطبيعة الحال . وهنا يبدأ المرحلة التي تعيننا في بحث أصوات الأطفال اللغوية . ورغم أن المحدثين من علماء الأصوات قد أجمعوا على أن الطفل يبدأ النطق بما يسهل عليه من الأصوات ، قد اختلفوا بعض الشيء في ترتيب الأصوات اللغوية ، من حيث سهولتها على الطفل . على أنهم جميعاً قد اعتبروا الأصوات الشفوية كالباء والميم من أوائل الأصوات التي يستطيع الطفل النطق بها ، وعللوا هذا بأن الطفل يرى حركة الشفتين حين يسمع هذه الأصوات من أمه أو أبيه . ولكن هذه العلة تستلزم مقدرة عقلية أكبر مما يمكن أن تكون عند الطفل في مثل هذه المرحلة . لأن ربط رؤية الشفتين بسماع الأصوات الشفوية يحتاج إلى عملية عقلية ، لا يصل إليها الطفل إلا في مرحلة متأخرة . هذا إلى أن انتباه الطفل في هذه المرحلة يتجه عادة إلى عيني أمه أكثر من الاتجاه إلى حركات شفيتها . وليس ببعيد أن الطفل الذي يولد أعمى لا يبصر ، فالسر في البدء بالنطق بهذه الأصوات ، هو أن عضلات النطق بها ، هي نفس العضلات التي يستخدمها الطفل في الرضاعة . ثم يتدرج الطفل في النطق بالأصوات الصعبة ، التي منها ما يستحيل عليه النطق به قبل أن يبدأ أكل أطعمة أكثر صلابة من اللبن . ولا يكاد ينتهي العام الأول في نمو الطفل حتى يكون قد مهر في تكرير مقاطع متماثلة مثل [دَدَ دَ] . وتكرير المقاطع مسلاة للطفل ، خير عنده من أية لعبة يمكن أن تهدي إليه . وقد تتضمن تلك المقاطع أصواتاً يصعب على الطفل فيما بعد ، النطق بها في كلمات من لغة أبويه . ومنشأ تلك الصعوبة فيما بعد هو الفرق بين النطق بالصوت لمجرد اللعب والتسلية ، في موضع خاص من الكلمة ، مكتنفاً بأصوات خاصة . ولهذا تعرض للطفل صعوبات جمة حين يبدأ المرحلة الإرادية في تقليد نطق أبويه أو من حوله من الكبار . فاذا تحرر الطفل من لغته الخاصة وبدأ تقليد الكبار حوله استطاع الباحث المدقق أن يعرف في معظم الحالات السر فيها قد يعرض النطق الطفل من نقص في تقليد لغة أبويه . وهذا النقص في التقليد يخضع عادة لقواعد تبررها القوانين الصوتية ، وعلاقة الأصوات بعضها ببعض (1) فكثير من الأطفال يبدلون الكاف تاء لأن الصوتين يتحدان في صفتي الهمس والشدّة ، ولا فرق بينهما إلا في المخرج . لأن أقرب أصوات طرف اللسان إلى الكاف ، هي التاء . فقد يقول الطفل المصري « تلب » في « كلب » ، والأطفال الذين يميلون إلى إبدال الكاف ، تاء ، ، يميلون أيضاً إلى قلب « الجيم » التي هي مجهور الكاف ، إلى « دال » التي هي مجهور التاء ، فيقولون في « عجبن » « عدين » ، وفي « جدى » « ددى » . أحياناً تسمعه منهم « واوا ، وأحياناً نجدها ، أو مهموس الغين وهو الخاء ، ينطقون ها بابوغ » أو « بابوخ » . ولا شك أن الواو واللام أسهل من الراء ، هذا إلى أن العلاقة الصوتية بين كل من اللام التي تشبه أصوات اللين . والواو كما ، (liquids) والواو وبين الراء واضحة جلية : لأن كلا من اللام والراء من الأصوات المائعة سبق شرح طبيعتها الصوتية ليست في الحقيقة إلا صوت لين انتقالي ، فعلاقتها بالراء إذن واضحة . فاذا أضيف إلى هذا أن الراء عند الأطفال يغلب أن تكون لهوية ، انضم إلى اشتراك الراء والواو في الصفة قربهما في المخرج ، (3) « الذال ، ونظيرها المهموس » التاء ، وعلى كثير من الكبار أيضاً . فقد تطورت الذال ، من النطق العربي القديم إلى الدال أو الزاى في لهجات الكلام الحديثة في ألسنة أطفال الإنجليز إلى « » ، وتطورت التاء « th » ، كما تطورت التاء إلى التاء أو السين وقد سبق شرح هذا . وقد تطورت الذال هذا ولا تزال بعض اللهجات . « throw » « جدى » « ددى » ، ويقولون في : Mother « Muvver » فيقولون في ، (f) إلى « th »

وقد روى مثل هذا التطور في اللهجات العربية (fank You) (thank you) : الانجليزية تلتزم النطق بالثاء « فاء » ، فيقولون في القديمة : [جدت : جدف . ثوم : فوم] ، لأن مثل هذا التطور الصوتي ليس الا نتيجة انتقال قليل في المخرج ، لتصادف الأصوات اللثوية أشباهها في مخرج آخر ، مع احتفاظها بصفات الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة . وفي قليل من الأحيان نرى عكس هذه والعلاقة الصوتية ، «sweet, swing» iweet, fwing الظاهرة عند بعض الأطفال المصريين ، وفي « فول » « ثول » . في مثل واضحة هذا لا تحتاج إلى عناء في الكشف عنها .هـ) وعميل الأطفال عادة قبل سن الثانية إلى الجهر بالصوت الأول من الكلمة إذا كان مهموسا . ومتى جهرت الكاف صارت ، جما ، قاهرية . وقد يقول الطفل المصري في «فل » « لل » ، وهنا أيضاً أثر البدء بصوت مجهور ، واختار اللام من بين المجهورات ليتحقق ميله إلى تكرار المقاطع (٦) الطفل أيضاً في نطقه يتلمس أيسر الطرق ، وهو لهذا لا يميل إلى توالي صوتين أحدهما مجراه الأنف كالميم والنون ، والآخر مجراه الفم كباقي الأصوات . ولهذا يميل إلى جعل مجرى كلا الصوتين المتجاورين إما من الفم فقط ، أو الأنف فقط . لهذا قد نسمع بعض أطفالنا في المراحل الأولى يقولون في «تين (نين . . ففي هذا المثال جهر الطفل أولاً بالثاء فأصبحت « دالا ، أما موضع اللسان مع كل منهما فيكاد يكون متحداً . ويظهر أن الصوت الثاني هو المتفوق دائماً ، أى أنه هو الذي يؤثر في الأول ، ويقلبه تبعاً له ، لأنه آخر ما يسمع الطفل من أصوات الكلمة ولهذا قد نسمع بعض أطفالنا يقولون في «موز » «بوس » ، فقد قلبت الميم هنا إلى نظيرها . من أصوات الفم وهو « الباء » ، الكلمة فأصبحت الزاي سينا ، ، لأن الطفل في هذه المرحلة يميل إلى الجهر في أول الكلمة والهمس في آخرها . ومثل هذا يمكن أن يقال حين نسمع طفلاً يقول في « سمك . ثم قلب الميم إلى نظيرها من أصوات الفم وهي « الباء » . (٧) وتقليد الأطفال الأصوات الكبار ، قد يعرض له عدة . مراحل في التطور ، قد نطقت بالكلمات الإنجليزية : رائحة، كما يلي بالترتيب : تيبز، بيل، تو . يليه صوت أنفي . وقد قلب أولاً الصوت الأنفي إلما يناظره من أصوات الفم : فالميم قلبت و باء ، ، والنون و دالا » ، ولكن الباء والبدال وليس هذا بغريب لأنني سمعت طفلاً مصرياً لم ، (t) و همست الدال فصارت (P) صوتان مجهوران ، لذلك همست الباء فأصبحت ، يناهز الثانية من عمره ، ينادى خادمه المسمى « فتوح ، قائلاً « يوح